وقف [illegible]

عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية بتشديد الياء ويجوز تسكينها
وهمز بعدها ومعناها الخليقة ففي النهاية يقال براه الله يبراه اي خلقه ويجمع على البرايا
والبريات من البري وهو التراب اذا لم يهمز ومن ذهب الى ان اصله الهمزة اخذه من برا الله
الخلق يبراهم اي خلقهم ثم ترك فيها الهمز تخفيفا ولم يستعمل مهموزا قلت بل المهموز مشهورة
متواترة قرا بها الامام نافع وابن ذكوان عن ابن عامر على الاصل والباقون بابدال الهمزة
ياء وادغامها في الياء تخفيفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تواضعا لربه وادبا مع
جده ذاك اي المشار اليه الموصوف بخير البرية هو ابراهيم قال النووي فيه وجوه احدها
انه قال هذا تواضعا واحتراما لابراهيم عليه السلام لخلته وابوته والا فنبينا صلى الله عليه
وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وثانيها انه قال هذا قبل ان
يعلم انه سيد ولد ادم فان الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء فاخبره بفضيلة ابراهيم
عليه السلام الى ان علم تفضيل نفسه فاخبر به قلت وفيه انه يحتاج الى معرفة
تاريخ ليدفع التعارض به وثالثها ان المراد به انه افضل بريته عصره فاطلق
العبارة الموهمة للعموم لانه ابلغ في التواضع قلت ومآل هذا يرجع الى الاول مع ان
كونه كل منهما افضل برية عصره ليس فيه مزيد مزية قال وفيه جواز التفاضل بين الانبيا
عليهم السلام قلت لا دلالة عليه في كل من الوجوه الثلاثة ثم افضلية نبينا ثابتة بادلة
صحيحة صريحة كاد ان يكون المسالة قطعية بل اجماعية منها حديث مسلم وابي
داود انا سيد ولد ادم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر
واول شافع واول مشفع ومنها حديث الامام احمد والترمذي وابن ماجة عن
ابي سعيد انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من
نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر ومنها حديث الترمذي عن ابي هريرة انا
اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وامثال ذلك من الاحاديث كثيرة
صحيحة شهيرة مما يدل على سيادته وزيادته في سعادته وفي الاحاديث المسطورة
اشعار بتاخير قوله انا سيد ولد ادم عن قوله ذاك ابراهيم لان الاوصاف المذكورة
يوم القيامة لا يتصور ان يكون في المفضول مع ان النسخ لا يوجد في الاخبار هذا
وقد قال بعض الشراح من علمائنا يحمل الحديث على انه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا
ليوافق الاحاديث الدالة على فضله على سائر البشر وعلى ان ابراهيم كان يدعى بهذا
النعت حتى صار علما له كالخليل فقال ذاك ابراهيم اي المدعو بهذه التسمية
ابراهيم اجلالا له بنفي من التشريك فيكون معنى خير البرية راجعا الى من خلق
دون مثله تخلق بعده ولم يكن ذكر البرية على العموم فلم يدخل النبي صلى الله عليه
وسلم فيها في غمارهم وحاصله انه صلى الله عليه وسلم مستثنى منهم اما بطريق العقل
وهو ما ذكرنا واما بطريق العقل فان المتكلم عند بعض الاصوليين غير
داخل في امره وخبره والله اعلم رواه مسلم وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني بضم اوله واصله لا تطريون من الاطراء

وهو المبالغة

وهو المبالغة في المدح والغلو في الثنا كما اطرت النصارى ابن مريم اي مثل اطرائهم اياه
فمفهومه انه اطراه من غير جنس اطرائهم جائز ولعله صاحب البردة حيث قال
دع ما ادعته النصارى في نبيهم ۞ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ۞
وفي شرح السنة وذلك ان النصارى افرطوا في مدح عيسى عليه السلام واطرائه
بالباطل وجعلوه ولدا لله تعالى فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطروه بالباطل قال
الطيبي وفي العدول عن عيسى والمسيح الى ابن مريم تبعيد له عن الالوهية
يعني بالغلو في المدح والاطراء والكذب بان جعلوا من جنس النسا الطوامث الحوامل ابن
اله انثى وكون اليهود بالغلو في قدح المسيح والنصارى في مدحه قال تعالى يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير الحق فالحق هو الوسط العدل كما بينه سبحانه بقوله انما المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله والمعنى انه عبده ورسوله لان كونه ابن مريم يدل على انه
عبده وابن امته كما اشار اليه بقوله كانا ياكلان الطعام اي يبولان ويتغوطان
ويحتاجان الى الاكل والشرب فلا يصلحان للالوهية ولا مناسبة لهما بالربوبية
وانما شانهما العبودية فانما انا عبده اي الخاص في مقام الاختصاص وهو وصف
الحقيقة افضل مدح عند الفاضل الكامل كما قال القايل شعر
لا تدعني الا بيا عبدها ۞ فانه افضل اسمائيا
ولذا ذكره الله سبحانه في مواضع من كتابه بهذا الوصف المنيع والفضل البديع
منها في مقام الاسرا سبحان الذي اسرى بعبده ومنها في مقام انزال الكتاب تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده والحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وفيه اشارة
لطيفة وبشارة شريفة ان الغاية الربوبية باعتبار غاية العبودية فقولوا
عبد الله ورسوله اي ليتميز به عن بقية عبيده وفي ذكرهما ايضا ايماء الى مبدا
حالته ومنتهى غايته وكان ابا سبحانه الخاص اخذ حظا من هذا الاختصاص وشرحه
يطول ولا يرضى به الملول متفق عليه قال ميرك رواه البخاري والترمذي في
الشمائل كذا قاله الشيخ الجزري فتامل في قول المص متفق عليه وعن عياض بن
حمار بكسر اوله المهملة كتفي بضم الميم يعد في البصريين وكان صديقا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قديما روى عنه جماعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اوحى
الي ان تواضعوا ان هذه مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتواضعوا امر من التواضع
تفاعل من الضعة بالكسر وهي الذل والهوان والدناءة حتى لا يفخر متعلق باوحى وهو
بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبر والشرف اي كي لا يتعظم احد على احد ولا يبغي
بكسر الغين اي ولا يظلم احد على احد وفي الجمع بينهما اشعار بان الفخر والبغي نتيجتا الكبر لان المتكبر
هو الذي يرفع نفسه فوق كل احد ولا ينقاد لاحد رواه مسلم اي في حديث طويل في اخر
صحيحه ذكره ميرك وكذا رواه ابو داود وابن ماجة عنه وروى البخاري في الادب المفرد وابن
ماجة عن انس ولفظه ان الله اوحى الي ان تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض

الفصل الثاني

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لينتهين بلام مفتوحة
في جواب قسم مقدر اي والله ليمتنعن عن الافتخار اقوام يفتخرون بابائهم الذين ماتوا اي على
الكفر وهذا الوصف بيان للواقع لا مفهوم له ولعل وجه ذكره انه الظهر في توضيح التقبيح ويؤيده

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)